**المحاضرة الثالثة : الوظيفة الاجتماعية للغة .**

**1 - الوظيفة الاجتماعية للغة :**

تعد اللغة من الخصائص الإنسانية بحيث يقدر على استخدامها سواء كانت منطوقة أو مكتوبة لتحقيق التواصل و تحقيق الغرض ، فالجنس البشري يتكلم في كل زمان و مكان و بالتالي فهو يستشعر تلك الحاجة الأصيلة للتعبير عن أفكاره و تصوراته و المشاركة الوجدانية و تبادل الآراء و المواقف و الخبرات التي تؤلف ثقافة المجتمع ، و المشاركة في النشاط الاجتماعي ، فلا اجتماع بدون تواصل و لا تواصل بدون لغة .

هذا ما حدا بالعلماء في مختلف التخصصات إلى دراسة اللغة من عدة جوانب سواء كانت في مجال اللسانيات أو علم النفس اللغوي أو علم الاجتماع اللغوي أو الأنتروبولوجيا ، و قد نتج عن هذه العلاقة تراكم معرفي و فكري و ظهور تيارات فكرية في هذا الاتجاه

إن اللغة لا يمكن أن نفهمها بوضوح إلا من خلال الدور الذي تؤديه في حياة الإنسان و حياة الجماعة اللغوية الماحدة التي تجمع بينها قواسم مشتركة روحية ، فكرية و حضارية بشكل عام [[1]](#footnote-2)

لا شك أن الصلة بين الظواهر اللغوية و الظواهر الاجتماعية ، و تأثر اللغة بالعادات و التقاليد و النظام الاجتماعي في زمان و مكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة و أدرك الإنسان طبيعة الحياة الاجتماعية . من أجل ذلك عمل أقطاب الدرس الألسني في الشرق و الغرب على السواء على رصد تلك الصلة ، و هذا ما جعل تعريفهم للغة يحمل تلك الصبغة الاجتماعية .

و لقد أدرك اللغويون العرب القدماء و المحدثون الخاصية الاجتماعية للغة تجلى خاصة ذلك في تعريفهم لها ، فهي عند "**ابن جني** " مثلا : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ، و عند تحليل تعريف " ابن جني " للغة من منظور سوسيو لساني حديث نستشف جملة من الخصائص تتمثل فيما يلي :

اللغة أصوات ، و لقد أدرك المشتغلون بالدرس اللغوي الحديث هذه الخاصية للغة ، فذهبوا إلى القول بأن : " اللغة نظام من الرموز الصوتية " .

وظيفة اللغة هي التعبير ، و لم يغفل الدرس الألسني الحديث عن هذه الخاصية أيضا فأقر بأن اللغة هي التواصل داخل المجتمع .

الطابع الاجتماعي للغة ، فلفظة قوم التي جاءت في تعريف " ابن جني " تؤكد اجتماعية اللغة ، و يرجع استعمال مصطلح " قوم " في هذا التعريف بدل " مجتمع إلى" أن العرب قديما لم تستعمل مصطلح المجتمع للدلالة على المعنى الذي تحمله هذه اللفظة في هذا العصر ، و إنما كانوا يستعملون لفظة " قوم " للدلالة على المجتمع .

علاقة اللغة بالفكر : و يبدو هذا واضحا في تعريف ابن جني ، و ذلك حينما قال : " يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " .

من الواضح من خلال تعريف " ابن جني " للغة أنه أدرك الصلة القائمة بين اللغة و المجتمع ، و تيقن من أهمية اللغة بالنسبة لأفراد المجتمع الذين يستعملونها كأداة للتعبير عن حاجياتهم ، فهي وسيلتهم للتواصل داخل هذا المجتمع الذي يعيشون فيه .

إن تركيز " ابن جني " في تعريفه للغة على الوظيفة التعبيرية التواصلية لقي رفض الكثير من المشتغلين بالدرس الألسني الحديث بحجة أن هناك العديد من الوظائف الأخرى للغة Speech functionتتمثل في أنواع مختلفة من الكلام الديني و السياسي و الشعري و تندرج كل هذه الأبواب ضمن الوظيفة الاجتماعية ، و ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى القول : " هل اعتبار اللغة وسيلة من وسائل التوصيل يجوز أن يعد تعبيرا صادقا للغة ؟ " . إن دراسة الأنواع المختلفة " للوظائف الكلامية " للغة من اللغات لا تؤيد مثل هذه التعريفات و لا توحي بها .

و القول بالوظيفة الاجتماعية للغة Social function التي نادى بها أصحاب هذا الاتجاه الذي رفض حصر اللغة في مجرى الوظيفة التواصلية التعبيرية يجعل اللغة تتمثل في الأشكال التالية :

الكلام الانفرادي " المونولوج " ، كالقراءة الانفرادي بصوت عالي و تحديث الإنسان لنفسه. استعمال اللغة في السلوك الجماعي كالصلاة و الدعاء و الغناء و التمثيل .

استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي استهدف غاية محددة مثل ، لغة التأدب و التهنئة و الحديث عن أحوال الطقس .

استخدام اللغة في بعض الأحيان لإخفاء أفكار المتكلم على نحو ما يظهر في لغة السياسة فالسياسي يظلل الناس ليأخذ أصواتهم في الانتخابات . و في لغة اللصوص اللذين نجذهم يكذبون على الناس لأخذ أموالهم .

و من أجل ذلك كله يمكن القول بأن وظيفة اللغة لا تقتصر على التواصل فحسب ، بل تستعمل في مواقف كلامية مختلفة يؤثر بها على الآخرين ، إما حبا أو خداعا أو تحذيرا و قد يستعمل الأفراد هذه اللغة في تمضية أوقاتهم ، كالحديث في القطارات و الطائرات و هذا ما أطلق عليه العالم الأنتروبولوجي " مالينوفسكي " ب " التواصل الودي " Cominication phatic و هي وظيفة تعمل على مد جسور التواصل بين أفراد المجتمع الواحد .

و يرى بعض الباحثين اللسانيين أن للغة وظائف تواصلية عديدة إلا أن وظيفتها الأكثر أهمية هي الوظيفة التعاملية التي يستعملها الأفراد بكثرة في حياتهم اليومية Transactional Function ، و تتمثل هذه الوظيفة التعاملية في نقل المعلومات .

كما يرى أصحاب الدرس الألسني أن الوظيفة التفاعلية Interaction function لا تقل أهمية عن الوظيفة التعاملية في إقامة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع و تعمل على ترسيخها ، فالمعاملات اليومية تعتمد على اللغة بوصفها وسيلة للتواصل أكثر منها أداة للتعامل بين المتكلمين دون غاية و هدف مرجو .

إن حصر وظيفة اللغة في التواصل و التفاهم يحول دون تفسير العديد من أشكال السلوك الكلامي Speech behaviour ، و لذلك كان من الضروري النظر إلى الوظيفة الاجتماعية للغة ، فلا يمكن فهم جوهر اللغة دون معرفة دورها في حياة الفرد و المجتمع . [[2]](#footnote-3)

**2 - اللغة و اللهجات المشتركة :**

من المسلم به أن معظم اللغات الأدبية في العالم,توجد بجانبها مجموعات من اللهجات المحلية،الاجتماعية واللغات الخاصة . هذه اللغات وتلك اللهجات تسير كلها جنبا إلى جنب لا في الأقاليم وحدها بل في داخل المدن الكبرى أيضا،ففي جميع العواصم الكبرى الراقية نجد لغات الصالونات الأدبية ،ولغات العلماء المثقفين وغيرهم. كما نجد لغات العمال والعاميات الخاصة التي تتكلم في حواش المدينة،وقد تختلف هذه اللغات بعضها عن بعض والى حد إنه قد يعرف الإنسان أحداها دون أن يفهم الأخرى،على أنه من الملاحظ ذلك،أن الإنسان قلًما يعيش محصوراً في مجموعة اجتماعية واحدة،ولذلك كان من النادر أن تبقى إحدى اللغات دون أن تنفذ الى مجموعات اجتماعية مختلفة،ومن المشاهد أن كل فرد يحمل لغة مجموعته ، ويؤثر فيها في لغة المجموعة المجاورة التي يدخل فيها،أو يتأثر بلغة هذه المجموعة. وعلى هذا صار عاملان في اللغة،(عامل التفريق)و(عامل التوحيد) فالتفريق يؤدي إلى انفصالات تزداد تعددا مع الزمن،وتكون النتيجة : تفتت اللغة تفتتاً يزداد بازدياد استعمالها،إذ تضطرها إلى هذا التفتت مجاميع الأفراد التي تترك وشأنها دون احتكاك بينها. غير أن هذا التفريق اللغوي لا يصل إطلاقا إلى تمامه لأن سبباً حيويا يقف في طريقه ويعمل دائما على مناهضته ألا وهو (التوحيد)الذي يعيد التوازن اللغوي.  
فعلى هذا لابد من قيام اللغات المشتركة على أساس لغة موجودة تتخذ لغة مشتركة من جانب الأفراد والجماعات التي تختلف لديهم صور التكلم والظروف التاريخية هي التي تفسر لنا تغلب هذه اللغة التي اتخذت أساسا وتعلل انتشارها في جميع مناطق التكلم المحلي المشتركة،فهي دائما لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعاً.وخير مثال لهذا لغتنا العربية التي كانت تحكي بها قبل قبائل مختلفة، فقد انقسمت إلى لهجات متعددة تختلف فيما بينها في كثير من الظواهر الصوتية والدلالية كما تختلف في مفرداتها،ثم أتيحت لهذه اللهجات العربية فرص كثيرة للاحتكاك بسبب التجارة تارة وتجاور القبائل تارة اأرى، وتنقًل تلك القبائل في طلب الكلام والمرعى،أو تجمعها في مواسم الحج،فاشتبكت هذه اللهجات في صراع لغوي كان النصر فيها للغة مشتركة استمًدت أبرز خصائصها من لهجة قريش التي طغت على سائر اللهجات الأخرى،فأصبحت لغة الأدب بشعره ونثره،ولغة الدين ولغة السياسة والاقتصاد.فقد سادت لهجة قريش بسبب العامل الديني ولاً لأن قريش كانت تتمتع بمنزله دينية خطيرة قبل الإسلام ،وان القريشيين كانوا جيران بيت الله وسدنته. وكذلك العامل الاقتصادي فهم كانوا يتمتعون بسلطان اقتصادي كبير لإن بيدهم جزءً كبيراً من تجارة الجزيرة العربية ينتقلون في بقاعها من سوريا شمالاً إلى أقاصي اليمن جنوباً.وقد أتاح لهم هذا النشاط التجاري شراءاً كبيراً،ومن ملك المال واحتضان الدين تحقق لهم سلطان قوي،ولهذا كله كانت اللغة القريشية أقوى اللغات أثرا في تكون اللغة العربية المشتركة أو العربية الفصحى.  
  
ولمًا كانت الأقاليم تختلف فيما بينها في لهجاتها،فإن طبقات الناس التي تعيش فيها تختلف هي أيضاً في لغاتها فالطبقة الغنية ذات الجاه والنفوذ المادي والسيطرة السياسية تخالف في كلامها دون شك طبقات العمال والجنود والتجار والزراع وغيرها من الطبقات الأخرى. وسواء كانت اللهجات محلية ام اجتماعية فإنها تمت بصلة وثيقة للغة المشتركة وقد يكون كلا النوعين متشعباً عن اللغة الأصلية يستمد منها أصول مفرداته وقواعده وتراكيبه غير أن السبب الرئيسي لنشأة اللهجات المحلية يرجع إلى اختلاف الأقاليم وما يحيط بكل إقليم من ظروف وخصائص تاريخية وجغرافية وسياسيه،على حين أن السبب الأساس لنشأة اللهجات الاجتماعية يرجع إلى اختلاف الناس في الإقليم الواحد وما يكشف كل طبقة من شؤون في شتى مظاهر الحياة. [[3]](#footnote-4)

1. جناوي عبد العزيز : **الوظيفة الاجتماعية للغة** ، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية ، العدد 12 ، ص 186 [↑](#footnote-ref-2)
2. عزيز كعواش : **النظرية الاجتماعية في الدرس اللغوي الحديث** ، مجلة علوم الإنسان و المجتمع ، المجلد 08 ئن العدد 03 ، 2019 ص 84 - 86 [↑](#footnote-ref-3)
3. عبد الكريم حسين عبد السعدي : **وظيفة اللغة** ، جامعة بابل ، كلية العلوم الإسلامية ، قسم لغة القرآن ، السنة 03 ، 2012 [↑](#footnote-ref-4)